باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

باب قول الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ :

أيها الفضلاء لا زال الشيخ رحمه الله يذكر أعمال القلوب التي لها تعلق بالتوحيد.

و من المناسب جدا أن الشيخ رحمه الله ذكر باب التوكل بعد باب الخوف: و ذلك أن من توكل على الله ذهب خوفه من غير الله .و كلما عظم التوكل على الله عز وجل كلما ضعف الخوف من غير الله في قلب العبد. قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾

جاء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما:(أنه غزى مع النبي ﷺ غزوة قبل نجد أي ناحية نجد،فلما غفل رسول الله ﷺ أي رجع إلى المدينة أدركتهم القائلة في وادٍ كثير العظاة،في وادٍ كثير الشجر الشوك ،فنزل رسول الله ﷺ و نزل أصحابه معه و تفرق الناس في العظاة " يعني في الشجر" يستظلون بالشجر و نزل رسول الله ﷺ تحت ثَمُرَة و كان من عادة الصحابة رضوان الله عليهم :أنهم إذا نزلوا فرأوا شجرة كبيرة تركوها لرسول الله ﷺ ، فعلق بها النبي ﷺ سيفه،قال جابر رضي الله عنه فنمنا نومة،ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا،فجئناه ،فإذا عنده أعرابي جالس ، فقال رسول الله ﷺ : (إن هذا أخترط سيفي و أنا نائم) "يعني أخذ سيفي من الشجرة و سله و أنا نائم" (**فاستيقظت و هو في يده صلتاً**) يعني استيقظت،فإذا به واقف عند رأسي و إذا بالسيف مسلولا في يده، (**فقال لي من يمنعك مني؟ قلت الله،فها هو جالسٌ**). متفق عليه.

و في رواية عند مسلم،فقال لي:(ما يمنعك مني) : " يعني أنا الآن معي السيف و لا يوجد أحد من أصحابك ، فمن يمنعك مني"، فقال النبي ﷺ: الله،فقال الثانية : من يمنعك مني؟

فقال النبي ﷺ : الله ،فشام السيف : شام السيف معناه رده إلى غمده.

فانظروا أيها الإخوة : كيف أن التوكل على الله في قلب النبي ﷺ جعله لا يخاف هذا الأعرابي،مع كونه ممسكا بالسيف، سالا السيف،لكنه التوكل على الله سبحانه و تعالى.

و التوكل أيها الفضلاء في اللغة هو: الاعتماد على الغير في أمر ما.

التوكل في لغة العرب هو : الاعتماد على الغير في أمر ما، مع إظهار العجز ، هذا التوكل عند العرب.

أما التوكل في الشرع في اصطلاح العلماء فهو : صدق اعتماد القلب على الله سبحانه و تعالى في استجلاب المنافع و دفع المضار مع فعل الأسباب.

ما هو التوكل شرعا؟ صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المنافع و دفع المضار مع فعل الأسباب.

إذن التوكل يقوم على أمرين:١/ على أمر في القلب .٢/ و أمر يتعلق بالجوارح.

أما الذي يتعلق بالقلب: فهو اعتماد القلب على الله سبحانه و تعالى في استجلاب منفعة أو دفع مضرة ، هو الثقة بما عند الله و الإيمان بقدرة الله سبحانه و تعالى ،مما يجعل القلب يعتمد على الله عز و جل في جلب المنفعة و دفع المضرة.

و الأمر الثاني: فعل الأسباب المشروعة، صغيرة كانت أو كبيرة .

فالتوكل : اعتماد القلب على الله عز و جل مع فعل الأسباب المشروعة .

انتبهوا يا اخوة : القلب يعتمد على الله و الجوارح إنما تفعل لأن الله أجرى سنته في كونه في ربط المسببات بأسبابها و لا يعتمد عليها القلب و إنما الاعتماد على الله سبحانه و تعالى:

فالرجل يتزوج : من أجل أن يحصل الولد ، لكن قلبه يعتمد على الله في تحصيل الولد.

الرجل يذهب إلى السوق: فيبيع و يشتري و لكن القلب معلق بالله الرزاق سبحانه و تعالى ، الفلاح يغدوا إلى حقله مبكرا يحرث الأرض و يبذر البذر و يضع المواد و لكن قلبه معتمد على الله في تحصيل المقصود ، فهذا هو التوكل . فليس التوكل : اعتماد القلب و إهمال الأسباب،بل هذا تواكل و جهل بالشرع و خلاف العقل ، فإن كل عاقل يدرك أنه لا بد من فعل الأسباب و فعل الأسباب هو الذي جاء به الشرع،الله عز وجل قال لمريم عليها السلام لما حملت بعيسى عليه السلام ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾

الله قادر بأن يسقط لها الرطب بدون أن تهز لكن أمرها بفعل السبب.

و الله عز وجل قال لأيوب عليه السلام : (اضرب برجلك)،و الله قادر على أن يخرج الماء من الأرض بدون هذا ، و كان النبي ﷺ و هو سيد المتوكلين يفعل الأسباب ﷺ في أموره كلها.

إذن لا بد في التوكل : من بذل السبب مع اعتماد القلب على الله لا على السبب و قد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بينهما في حديث واحد حيث قال:(لو أنكم لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل لَرُزِقْتُم كما يُرْزَق الطَيْر تغدوا خِمَاصًا و تروح بطانا)رواه الترمذي و ابن ماجة و صححه الألباني.

أنظروا يا إخوة:(لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) ،ترزق و هي في عشها؟

الجواب : لا ، و إنما :(تغدوا خماصا) : "جائعة" (و تروح بطانا) : فهي تبذل السبب ،فهكذا التوكل.

و قد ذكر بعض أهل العلم أن التوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الاعتماد القلبي المطلق على من يتوكل عليه بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع أو دفع الضر.

الاعتماد القلبي المطلق على من يتوكل عليه ،بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع و دفع الضر.

و هذا التوكل إن كان على الله،فهو التوحيد و منزلته من الدين منزلة عظيمة بل قال أهل العلم : إنه نصف الدين ، لقول الله عز و جل : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾فكان الدين قسمين :١/ عبادة. ٢/ و توكل.

و كما قال الله عز وجل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: عبادة و توكل و استعانة بالله سبحانه و تعالى .

و هذا التوكل يجلب للعبد محبة الله سبحانه و تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾.

كما أن هذا التوكل سبب لنصر الله عز و جل ، فما توكل عبد على ربه إلا نصره الله سبحانه و تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فدل هذا على أن التوكل : سبب لنصر الله سبحانه و تعالى.

و هذا التوكل على الله سبب لحفظ العبد من الشيطان ، فإن من توكل على الله حفظه من الشيطان : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. و هو سبب لكفاية الله عبده: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾. وصرف شيءٍ من هذا التوكل لغير الله : شرك أكبر: الذي يعتمد بقلبه اعتماداً مطلقاً على مخلوق في أي أمر، سواءً كان صغيراً أو كبيراً، فقد أشرك شركا أكبر، وكذلك إذا توكل على غير الله مع الله، إذا توكل على الله وتوكل على غيره معه سبحانه وتعالى، هذا شرك أكبر.

بعض الناس يعتمد بقلبه في تحصيل نفعه، أو دفع ضره، على المقبورين، على من يسمون بالأولياء، فيتوكل عليهم، فإذا رجى الرزق ما ذهب قلبه إلى ربه معتمداً عليه، وإنما يذهب إلى ذلك المقبور في قبره يعتمد عليه، ولذلك إذا وقع في كربة لا يلجأ إلى الله، وإنما يلجأ إلى المقبور في قبره، وهذا شرك أكبر، يخرج من ملة الإسلام.

وهذا الشرك كما قال العلماء له صور :

منها التوكل على المقبورين مطلقاً، توكل القلب على المقبورين شرك أكبر

ومنها: التوكل على الغائبين مطلقاً، اعتماد القلب على الغائبين شرك أكبر.

ومنها: التوكل على الحي الحاضر فيما لا يقدر عليه، هذا أيضاً شرك

وضابطها كما قلنا :

- تعلق القلب بالمتوكل عليه من المخلوقين، هذا شرك أكبر.
- أما تعلق القلب بالله، والاعتماد المطلق على الله، فهذا هو التوحيد.

والقسم الثاني : اعتماد القلب على الغير في الرزق والمعاش وأمور الدنيا، بحيث يتعلق القلب بالمتوكل عليه غير الله سبحانه وتعالى، من جهة كون ذلك سبباً: انتبهوا!.

هذا النوع : يعتمد فيه القلب على أسباب ويتعلق بها من جهة كونها أسبابا، لا من جهة كونها مسببات، وهذا شرك أصغر.

مثل: يعتمد الإنسان على وظيفته في حصول المال، ويتعلق قلبه بهذا، فهذا شرك أصغر.

إذاً انتبهوا يا أخوة: للفرق!، بين فعل السبب، وتعلق القلب بالسبب فعل السبب توكل، وتعلق القلب بالسبب شرك أصغر. ولكن إذا تعلق القلب بالسبب على أنه مُسَبِب جالب ودافع يصبح شركا أكبر.

إذاً اعتماد القلب على غير الله له صورتان:

الصورة الأولى:

اعتماد القلب على غير الله من جهة كونه جالبا للنفع، أو دافعاً للضر، وهذا شرك أكبر.

والنوع الثاني أو الصورة الثانية:

تعلق القلب بغير الله عز وجل من جهة كونه سبباً، يعني مع اعتقاد أن الجالب للخير هو الله، والدافع للضر هو الله، لكن يتعلق القلب بالسبب، فهذا شرك أصغر.

أما فعل السبب مع تعلق القلب بالله، فهذا هو التوكل على الله، وهو التوحيد.

القسم الثالث:

قالوا: "الاعتماد على المخلوق الحي القادر فيما يقدر عليه على أنه سبب"، الاعتماد على الحي القادر، المخلوق الحي القادر فيما يقدر عليه على أنه سبب.

الاعتماد على الحي القادر، المخلوق الحي القادر فيما يقدر عليه على أنه سبب:

"**الاعتماد على المخلوق الحي**"، هذا أخرج الميت."**القادر**" هذا أخرج العاجز كالغائب.

"**فيما يقدر عليه**"، هذا أخرج ما لا يقدر عليه."**على أنه سبب**" هذا أخرج تعلق القلب به، فهذا جائز.

يعني مثلاً: توكل أخاك في أن يراجع دائرة حكومية عنك، فأنت اعتمدت عليه ، وهو قادر على ذلك، على أنه سبب، فهذا جائز.

وهذا في الحقيقة يا أخوة: توكل باعتبار المعنى اللغوي، وليس توكلا باعتبار المعنى الشرعي، انتبهوا للفرق بين الأمرين!.

هذا في الحقيقة : توكل باعتبار معنى اللغة؛ لأن التوكل في اللغة: الاعتماد على الغير في أمر ما.

أما بالمعنى الشرعي: فليس توكلا؛ لأن التوكل بالمعنى الشرعي اعتماد القلب، وهذا في الحقيقة يسمى توكيلا، وهذا أولى من تسميته توكلا، حتى لا يوهم، فينبغي أن يسمى توكيلا.

طيب بناءً على هذا، هل يصح أن يقول العبد توكلت عليك في المعاملة الفلانية؟

قلنا: إذا كان مراده بقوله: "توكلت عليك في الأمر الفلاني"، اعتمدت عليك، من جهة كونه سبباً، لا من جهة تعلق القلب، فالمعنى صحيح، لكن اللفظ خاطئ فينبغي أن يقول وكلتك أو نحو ذلك.

طيب، هل يجوز أن يقول الإنسان لآخر: "توكلت على الله ثم عليك"؟.

يعني وكلته أنت في مراجعة البلدية اليوم، وقلت له انتبه!، ترى أنا متوكل على الله ثم عليك، أو توكلت على الله ثم عليك!، هل يجوز هذا؟.– رخص فيه بعض أهل العلم،– ومنعه بعضهم.

والتحقيق :

١/ أنه إذا كان مراده بالتوكل اعتماد القلب، فهذا حرام لا يجوز بل هو:

إما شرك أكبر، إذا نظر إلى كونه جالبا للخير دافعاً للضر. أو شرك أصغر، إذا تعلق القلب به باعتباره سبباً.

٢/ أما إذا كان مراده الاعتماد، وهو المعنى اللغوي، فالمعنى صحيح.

ومع ذلك ينهى عن هذا اللفظ سدا للذريعة : فلا ينبغي أن يقول توكلت على الله ثم عليك.

ثم إن الشيخ رحمه الله بدأ الباب وترجم له بهذه الآية العظيمة: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ : الله أكبر!، ما أعظم وقع هذه الآية على القلب!.﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا** ﴾ : ما قال الله هنا: توكلوا على الله إن كنتم مؤمنين،

قال: ﴿ وَ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، والعلماء يقولون: "تقديم المعمول"، "تقديم المجرور يدل على الحصر"، فالمعنى: اعتمدوا بقلوبكم على الله، لا على غيره.

﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ : أي إن كنتم صادقين في إيمانكم.

والتوكل بالقلب على غير الله قد يذهب الإيمان بالكلية، وقد ينقص الإيمان!، وكلا الأمرين يدخلان في هذه الآية.﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ :فإذا توكل الإنسان على غير الله، معتقدا أنه يجلب النفع، أو يدفع الضر، فهذا يذهب إيمانه. وقد اشترط الله عز وجل للإيمان هنا التوكل عليه سبحانه وتعالى.

وإن كان توكله على غير الله، وتعلق قلبه بغير الله على أنه سبب، لا أنه مسبب، فهذا شرك أصغر يضعف الإيمان!. ومن هنا تعرف فقه الشيخ في إيراده للأدلة : حيث ترجم بهذه الآية التي تدل على أن التوكل شرط للإيمان. فالتوكل شرط لصحة الإيمان، وشرط لكمال الإيمان. فالتوكل على الله سبحانه وتعالى شرط لصحة الإيمان، ولكمال الإيمان. ويقابله التوكل على المخلوق، قد يذهب الإيمان كله، وقد يذهب بعض الإيمان كما بيناه.

وقوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ : العلماء يقولون إنما أداة حصر، ففيها حصر المؤمنين في المتصفين بهذه الصفات ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: ففيها عبادة الخوف من الله عز وجل، فالمؤمن إذا ذكر الله نده يخاف الله عز وجل سواء كان مقيما على طاعة أو كان فاعلا لمعصية، يخاف من الله عز وجل فإذا كان مقيما على طاعة عظم إخلاصه لله وثباته على الطاعة لخوفه من الله، وإذا كان فاعلا لمعصية ترك المعصية لخوفه من الله، وذلك لتعظيم قلبه لله سبحانه وتعالى.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ :وهذا دليل على صدق إيمانهم، فكلما قرؤوا القرآن أو سمعوا القرآن زاد إيمانهم، وفي هذه الآية دليل على زيادة الايمان، وما يزيد فإنه ينقص فهو دليل لأهل السنة والجماعة على أن الايمان يزيد وينقص.﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: اي يعتمدون بقلوبهم على الله لا على غير الله سبحانه وتعالى، فدل هذا على أن التوكل على الله عبادة مفروضة، فهي من فرائض الدين ومن أصول الدين.

وقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾. الآية

وقول الله عز وجل ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ ومعنى هذه الآية:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾: وهذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿**حَسْبُكَ اللَّهُ**﴾: أي أن الله كافيك وما يكفيك إلا الله سبحانه وتعالى، أما الخلق فلو اجتمعوا جميعا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، فلا يكفيك إلا الله سبحانه وتعالى.

وقول الله عز وجل ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ للعلماء فيه رأيان:

-قال بعض العلماء العطف هنا على لفظ الجلالة، فالمعنى حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين، وهذا خطأ يقينا هذا وإن ذكره بعض المفسرين لكنه خطأ يقينا، فإن التوكل لا يكون إلا على الله والاعتماد القلبي لا يكون إلا على الله، كما قال الله تعالى ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وكما قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ كما سيأتي ان شاء الله عز وجل.

والذي عليه أكثر العلماء المعنى الثاني:-وهو أن العطف على الكاف، فالمعنى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله، فشأن أهل الايمان جميعا أن حسبهم الله سبحانه وتعالى، وهذا ظاهر جدا ياإخوة بمجرد التأمل في الآية يتبين لك هذا المعنى وأن المعنى الأول خطأ، لأن الله عز وجل قال ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فكيف يكون التابع حسبا للمتبوع، المتبوع مقدم على التابع كيف يكون التابع حسبا للمتبوع؟!!. لا شك أنه لا يمكن أن يكون.

فالمعنى: أن الله سبحانه حسب المؤمنين جميعا، وهذا يدل على أنه يجب أن يكون التوكل على الله، لأنه إذا كان الله حسب المؤمنين فإنه يجب على المؤمنين ان يتوكلوا على الله سبحانه وتعالى.

وقوله:﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾.

الله أكبر، ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾:هذه جملة شرطية، فشرط الله عز وجل لكفاية الله عبده أن يتوكل العبد عليه، فمن أراد أن يكفيه الله فليتوكل على الله، ومفهوم الآية ان من توكل على غير الله خذله الله سبحانه وتعالى، ووكله إلى ذلك الضعيف الذي لا يجلب خيرا ولا يدفع ضرا، فهذه الآية دلت على وجوب التوكل على الله عز وجل، وعلى حرمة التوكل على غير الله سبحانه وتعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها ابراهيم ﷺ حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا:﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الآية .رواه البخاري.

هذا الاثر الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما فيه خبران صحيحان :

الاول: عن ابن عباس قال :"**﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها ابراهيم ﷺ حين ألقي في النار**" وهذا أمر له حكم الرفع فأخبر ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الخبر الصادق وهو أن الخليل إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار كانت آخر كلمة قالها ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾

والامر الثاني: قالها الخليل محمد ﷺ حين:﴿ **قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ وذلك يا إخوة أنه في غزوة أحد لما وقع ما وقع، وأصاب المسلمين ما أصابهم وذهب المشركون وهم في الطريق إلى مكة ندموا وقالوا نرجع فنقضي على محمد وصحبه لماذا تركناهم؟، فمر بهم رجل ذاهب إلى المدينة فقالوا له أخبر محمدا أنا قادمون إليه، فجاء هذا الرجل وكان النبي ﷺ جريحا وكان بعض الصحابة جرحى وفي غاية التعب، فقال لهم ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾ زادوا قوة إلى قوتهم السابقة وهم قادمون لاستئصالكم وأنتم في هذه الحال من الضعف فزادهم إيمانا بوعد الله وقالوا :﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ فلما قالوها أوقع الله الرعب في قلوب المشركين فرجعوا إلى مكة، فهذه الجملة العظيمة المعنى عظيمة الاثر؛ حسبنا الله أي كافينا الله سبحانه وتعالى ومادام أن الله كافينا فإنا نتوكل عليه سبحانه وتعالى .

﴿**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ :ونعم الوكيل الله سبحانه وتعالى ومعنى الوكيل المفوض في الامر، فالله حسبنا فعليه نتوكل ونعم المفَوَّض في الامر، فنفوض أمرنا كله إليه سبحانه وتعالى وهكذا شأن المؤمن دائما يقول حسبنا الله ونعم الوكيل، يقولها تصورا و يعتقدها قلبا ويعمل بها في جميع أموره، يا إخوة يقول العلماء :تصور التوكل سهل وتحقيقه صعب، تصور التوكل كل من ينتسبون إلى الاسلام يتصورون التوكل على الله لكن إذا جئت إلى التحقيق تجد أن الذين يحققون التوكل قلة، ويظهر هذا عند المصائب والشدائد وإذا وقع حادث يتبن لك من يتوكل على الله ومن يتوكل على غير الله سبحانه وتعالى، إذا وقع حادث المؤمن ينادي يالله يتوكل على الله، وغيره يتوكل على المخلوق ياسيدي فلان الغوث الغوث، في الكلام كل من ينتسب إلى الاسلام يقول نتوكل على الله لكن إذا جئت إلى التحقيق تجد أن الناس يتمايزون في هذا الأمر، فالمؤمن يقول

توكلت على الله يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ويمتلئ قلبه يقينا بهذا وثقة بما عند الله، بحيث لا يبقى لمخلوق في القلب مكان بهذا الاعتبار ويعمل بهذا في أموره كلها.

فيه مسائل:

الأولى :أن التوكل من الفرائض

أن التوكل من الفرائض لقوله عز وجل ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ولقول الله عز وجل ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ الآية، والتوكل فرض على المؤمن في صغار الامور وفي كبارها في جميع الاحوال، أكثر المؤمنين يتصورون التوكل في الرزق، ولكن التوكل فرض في جميع الامور

ـالتوكل على الله عند الاعراض عن الاعداء كما قال عز وجل ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ .

ـ والتوكل على الله عز وجل عند إعراض الناس عن العبد ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ والتوكل على الله عند مسالمة الأعداء ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ والتوكل على الله عند الخوف من المصائب ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فالتوكل على الله فرض مطلق في جميع الامور وجميع الأحوال.

الثانية:أنه من شروط الايمان

فشرط الايمان التوكل على الله، كما قلنا من توكل على غير الله قد يذهب إيمانه بالكلية وقد ينقص إيمانه، فإن كان اعتماد القلب على غير الله عز وجل مع اعتقاد أنه يجلب النفع أو يدفع الضر فهذا يذهب الايمان، وإن كان الاعتماد على المخلوق اعتماد القلب على المخلوق من جهة أنه سبب لا من جهة أنه يجلب الخير أو يدفع الضر فهذا شرك اصغر ينقص الايمان.

الثالثة : تفسير آية الانفال.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾

الرابعة : تفسير الآية في آخرها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾

الخامسة : تفسير آية الطلاق.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ كلها قد بيناها.

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة.

حسبنا الله ونعم الوكيل عظم هذه الكلمة وأنها قول الخليلين إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ قالاها في الشدائد، وهكذا شأن المؤمن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل؛ وأما حال الشرك والعياذ بالله الذي يقع فيه حتى بعض الذين ينتسبون إلى الاسلام، فهذا ينافي الايمان وهو نداء الاولياء ونداء الصالحين والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضر، فهذا والعياذ بالله ليس من شأن الصالحين بل هو شأن المشركين والعياذ بالله. وبهذا نكون فرغنا من هذا الباب.